الى عتيقهِ الاوّل فكثرت الحدائق والبساتين وتدفّقت المياه حتى كادت تُنعش الدفين والخلاصةُ اصبحت قرية الكفل جنّة نعيم. شُربُ أهلها تسنيم. وطعامهم كل لذيذٍ نفيسٍ كريم. بل:

وأطلقَ الطيرُ فيها سجعَ منطقهِ ما بين مختلفٍ فيها ومتّفقِ
والظلُّ يسترقُ بين الدَّوح خطوتهُ وللمياهِ دبيبٌ غيرُ مُستَرَقِ
والسُّحبُ تبكي وثغرُ البَرقِ مُبتسمٌ والطيرُ تسجع من تيهٍ ومن أنقِ
فالطيرُ في طربٍ والسُّحب في حَرَبٍ والماء في هَرَبٍ والغُصنُ في قلقِ

وفي مزار ذي الكفل منارةٌ يحكي عنها من رآها: ان من يصعد الى حوضها ويقبض بيديهِ على خشبتين بمنزلة مقبضين من الجهة اليُمنى واليُسرى ويهزّ المنارة فهي تهتزُّ اذا قال الواقف عليها: « ياسرّ سليمان بن داود » وقد هزّها بهذه الصورة طبّاخنا الحالي يعقوب ابن الشّماس يوسف وقد أكّد لي بانّها اهتزّت عند الكلم المذكورة. وقد رأى هذه المنارة بعض المهندسين من المسلمين والاجانب وقالوا انّها مبنيّة على صريقةٍ تدفع المنارة الى النَّوَسان بدون ان يكون ذلك بالعجوبةِ. فهذا هو اذًا السرّ لا ما زعم هؤلاء. والدليل على ذلك انك اذا فعلتَ فعلهم من القبض والهزّ ناست بك كما تنوس بالغير وان لم تتلفّظ بشيء

امّا صناعة اهل ذي الكفل فهي كصناعة اهل تلك الأنحاء التجارة والقايضة فيُوردون من كَرْبَلا السلَع اللازمة للأعراب ويبادلونها بالدوابّ والقطانيّ والحُبُوب

فنُّ البناء في آخر القرن التاسع عشر

للاب موريس كوانجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيّات في المكتب الطبي

لم يزل البناء يشغل افكار البشر منذ الامد المديد ولا عجب فانّهُ ليس لابن آدم بعد سدّ رمقهِ بالقوت اليومي واوواء غليلهِ همٌّ اعظم من طلب المأوى. وعليهِ انّنا نرى الشعوب جمعاء يتبارون في التأنُّق بالعمائر والابنية التي يتّخذونها لهم كُسكُنى

والحقّ يقال ان لبناء الدار شروطاً جمّة لا يقوم بها كثير من ارباب الهندسة.

فيُقتضى ان يكون المنزل دافئاً في فصل الشتاء بارداً في ابان القيظ ثابت الاركان كثير النور الى غير ذلك من المحاسن التي يرغب فيها اصحاب المنازل. ولذا كثيراً ما نسمع الشكاوى في حقّ المهندسين فتارةً تتداعى جدرانهم وحيناً تتشقّق سقوفهم فتقطر بالوكف وطوراً يتوطّب الملاط فيتساقط ويتفتّت فيُضحي اصحاب الاملاك في همّ دائم وشغل شاغل يتساوى فيه الآجر والمستأجر

وقد طاب اهل اوربّة واميركة دواء لهذا الداء. فبحثوا على وسائل جديدة لبناء دورٍ تكون وافيةً بشروط السُكنى جامعةً لاسباب الهناء.

١ البناء بالحجر

هو البناء القديم الذي ساد منذ القرون الغابرة على ما سواهُ من طرائق البناء. ولا بدّ للحجارة خواصّ وصفات تقدّمها على غيرها من الموادّ. لها الصلابة المشهودة مع كونها تقبل النَحت والنقوش اللطيفة فبها بُنيت اغلب الآثار القديمة التي صبرت على الزمان وظنّ ان ملك الحجر سوف يدوم بعدُ زمناً طويلاً

٢ البناء بالحديد

ولكن للحجر ايضاً عيوب لا تُنكر ربّما صرفت عنها باظار البُناة. منها اسعارها الغالية في بعض البلاد وصعوبة الحصول عليها. ومنها تشرُّبها للرطوبة وتشقُّقها في بعض الآونة لاسيما وقت الجليد. وغير ذلك من الآفات التي اضطرّت اصحاب الاملاك الى استبدالها بالحديد. وقد كثرت في هذه السنين الابنية الحديديّة. وكانوا في اوّل الامر يتّخذون بدلاً عن الاخشاب عُمُدًا من الحديد ثُمّ جعلوا يبنون الحطّات والمعاهد العموميّة والمتاحف الى ان باشروا بذلك البُرج الطائر الشهرة الذي بناهُ أيفل في باريس وبجوارهِ بناء آخر كأنهُ من جُرَز الحديد مثلهُ وهو مُخدَع الآلات. نَعم انّ منظر ابنية الحديد لا يُضاهي في حُسنهِ وجمالهِ ابنية الحجر او قُل بالاحرى انّ رؤيتها قبيحة شنيعة ولكن قد حُلّ بها مُشكل عظيم طالما شغل عقول المهندسين وهو تشييد بناء شامخ يعارض الاطواد بسموّهِ ويُنسي ذكر الاهرام المصريّة فقاز الحديد بذلك فوزاً باهراً

٣ البناء بالالومينيوم

بيد انَّ استعمال الحديد ضيّق النطاق. ولعمري انَّهُ يسوغ اتخاذهُ للأنابر والدواوين (الجارك) ومحطّات السكك الحديدية ولكن لم يفكّر احد قطّ في تجهيزهِ لبناء القصور والهياكل الشريفة والمخادع المنيفة فانَّ هيئة بنائهِ الشَّخْتَة وعواميدهِ المستدقّة لا تحلو في عين ناظر. ولا نجهل انَّ بعض المهندسين قد كسوا الحديد بأكسيةٍ مختلفة ليحجبوا معايبهُ فاتَّخذوا لذلك صفائح من حديد وطاوها باللاط وجعلوا لها تقاطيع ونقوشًا. غير انَّ ذلك كلَّهُ لم يُصِب المرمى تمامًا لثقل الحديد وصعوبة سَبْكهِ وتطريقهِ ولما يركبهُ من الصدإ. فعدل كثيرٌ من المهندسين الى معدن آخر حديث الاكتشاف خفيف الجرم سَهل التطريق لا يصدأ في الهواء وهو مع ذلك بَخس الثَّمن يستخلصهُ ارباب الصناعة بواسطة الكهرباء وهو معدن الالومينيوم. وقد بنى الاميركيُّون منهُ دورًا رحبةً متعدّدة الطبقات صُفِّحت جدرانُها وسقوفها بصفائح المعدن نفسهِ (مش ١: ١٠٥٣)

٤. البناء بالآجرّ والزجاج والورق

ولقائل ان يقول وما ظنُّك بالآجرّ فانَّهُ يجمع كثيرًا من صفات الحجارة وهو رخيص الثمن أفلا ترى انَّ الانكليز شيَّدوا بهِ القسم الاكبر من مدنهم وهذه البنايات لا تخلو من اللطافة وحُسن المنظر. (نقول) انَّنا نسلِّم بانَّ للآجرّ صفاتٍ من شأنها ان ترغب فيهِ اصحاب المنازل فآثرهُ لذلك كثيرون من الشعوب بنوا بهِ الابنية الضخمة والمداخن العالية بل القصور الشامخة كايوان كسرى غير انَّ اهل عصرنا لم يعودوا يرضون بهِ لقدم استعمالهِ كيف لا وبهِ بنى الروم والاشوريّون والفُرس أفترى انَّ عصرًا يدَّعي الترقي والتمدُّن فوق القرون الغابرة يقتفي بمن سبقهُ

فيبني كما اسلافهُ سابقًا بنوا ويفعل يومًا مثل اجدادهِ فعلا

ومن ثمَّ ارتاد المعاصرون لهم منذ عهدٍ قريب طريقتين مستحدثتين للبناء. الاولى هي البناء بالورق. والثانية بالزجاج

والطريقة الاولى شاعت في هذه السنين الاخيرة في بعض مدن اميركة وفي اليابان. واليابانيُّون مُولعون بتجهيز الورق لكل حاجاتهم فيشتغلونهُ اشكالًا وانواعًا يتَّخذونها لأثاثهم ولبسهم وبنائهم. واذا زاد سَمك الورق وضُغط ضغطًا محكمًا صار كالحجر رقوي على طوارئ الزمان وجاز استعمالهُ لتشييد المباني الرحبة العالية

اما البناء بالزجاج فيتّسع نطاقُهُ مع الايّام وقد توصّل العلّامة غرشاي (Garchey) الى اصطناع كمّيّة وافرة من الزجاج المجهّز للبناء فيذوّبهُ ويصبُّهُ في قوالب عظيمة على هيئات شتى منها للدرَج ومنها للافاريز والكُوى والسقوف والشُّرفات وكل اصناف الزينة على مقتضى طلب الطالبين. ومن خواصّ الزجاج انّهُ يسهلُ غَسْلُهُ ولا تنفذهُ الرطوبة ويمكن ان يُزاد نورُهُ او يُلطَّف حسبما يشاء صاحب المنزل. امّا اسعارهُ فمتهاودة. فيخٍ بخٍ لمثل هذه الاكتشافات التي لم تَدُرْ قبل عصرنا على خَلَد اجدادنا وتوفّر اسباب هنائنا وراحتنا في عالم البوار

تجهيز البيوت

وما تعدّدت في عصرنا الموادّ للبناء حتى تعدّدت ايضا انواع الاجهزة لتأثيث البيوت وزينتها. فترى الطبيعة تخدم ملكها بكل ما لديها من القوى لتوفّر لهُ الوسائط لتحسين منزلهِ. مثال ذلك التنوير فانّ اساليبهُ لا تكاد تُحصى فمنها الغاز السيّال والغاز المتبخّر والاسيتيلين والمصابيح المتشمّعة والكهرباء (راجع مقالتنا في التنوير في السنة الاولى من المشرق) وكأنّها تتسابق في بثّ الانوار الساطعة حتى تخال انّها حوّلت الليل نهارًا

امّا التدفئة فلها ايضًا الطرق العديدة استحدثها آل عصرنا فيدفئون البيوت بمساطل تتفرّع في كل المخادع يسيل فيها الماء المسخّن او يتمدّد البخار او الهواء الحارّ فيجدبها حرارةً معتدلة. وربّما اتّخذوا لذلك ايضًا آلاتٍ كهربائية دعوها مُشِعّاتٍ (radiateurs) يورونها ضمن الجدران فتشبعها حرارةً

وفي الصّيف قد اتّخذوا لتبريد هبوات القيظ باذَهنجاتٍ (ventilateurs) من الالومينيوم تديرها الكهرباء فتنسي باذَهنجات الفُرْس التي قال فيها الشاعر:

ونَفْحَةِ باذَهنجٍ أسكرَتْنا وجدتُ بروحها بردَ النعيمِ
صفا وجرى الهوا فيهِ رقيقًا. فسمّيناهُ راووقَ النسيمِ

ويجهّزون في كل بيت احواضًا يجري فيهِ الماء المبرّد لكسر شوكة الحرّ واتباع طريقة «كنيپ» الضامنة بحفظ الصحّة

وزد على ذلك انّهُ لم يكد يخلو بيتٌ من آلات دقّاقة لنقل اوامر صاحب الدار بلمحة العين. وكما انّهُ يمكن ربّ البيت وهو في حجرتهِ ان يتباحث مع ذويهِ بواسطة التليفون

ومن الآلات البيتيَّة الجديدة آلة لمسح الاحذية (cire-bottes) لا يحتاج الخدم الّا لتدويرها فتنظّف الأنعال من تلقاء نفسها. ومن ذلك آلة كهربائيَّة لغسل الدار وتلميع خشبه

وما قولنا الآن عن المرقيات (ascenseurs) الاصطناعية التي تصعد بصاحبها من الحضيض الى طبقات البيت العُليا دون ان تتحرّك الأرجل ويَلهث تعبًا لعلو الدرج

امّا المطابخ فكادت تبلغ كمالها فانّ الآلات العديدة المصطنعة في هذه السنين الاخيرة كالواقد الكهربائية وغيرها تطبخ الاطعمة بسرعة عجيبة فيكفي الطبّاخين والطبّاخات ان يلاحظوا فقط اللحوم والمطبوخات ليزيحوها عن النار عند استوائها. وبذلك فني ملك الدخان الذي كان يعمي النظر في المطابخ كما انّهُ لم يعد يتأخر الطعام عن ميقاته المعهود فتتشكّى السيدات من بُطء جواديهنّ

وفوق هذا كلهِ يتمكّن الانسان وهو لا يتزحزح عن دارهِ ان يتكلّم مع اهل البلد باجمعهم فحسبهُ لذلك ان يدقّ دقّاقًا كهربائيًا وللحال يُوصل عمّال المركز التليفوني بينهُ وبين من يقصد محادثتهم ولو كانوا في غاية البُعد. وفي مدن كثيرة الآت كهربائية متّصلة بمقام عمومي ترد اليهِ كل الاخبار فاذا جُهزت في بيت الخاصّة رقمت هذه الانباء كما يرقمها التلغراف وبذلك يطّلع الانسان في منزلهِ على ما يُحبّ من الاخبار ساعةً بساعة

هذه لمعةٌ وجيزة تفيدك ايها القارئ بعض اكتشافات آخر عصرنا في فنّ البناء وتجهيز البيوت ولو اردتُ سَردَها جميعًا فردًا فردًا لَخِلتَني أقصُّ عليك اقاصيص الف ليلة وليلة التي لا حقيقة لها خارجًا عن مخيلة كاتبها

ولعلّك تقول انّ هذه التحسُّنات في عمارة البيوت لا تليق الّا بمن كانوا اغنى من قارون. فاجنبْ انّ الامر بخلاف ظنّك فانّ كثيرًا من هذه المواد الموصوفة آنفًا متهاودة السعر وغايتها الاقتصاد المنزليّ. وكذا قل عن الكهرباء والتليفون. والدليل على ذلك انتشار هذه الآلات في كثير من المدن. واذا الشرق لم ينل بعد من فوائدها الّا النَّزر القليل فلا ينتج ذلك عن غلوّ اسعارها وانّما السبب خمول الهمم فانّ الشعوب اذا ما نهجوا طريقةً يجرون عليها ولا يحبُّون ان يستبدلوها بغيرها ولو كانت اوفر فائدة لاسيما اذا قنعوا بالقليل ورأوا السعادة في نهج سُبل قدمائهم

والحقّ يقال انّ السعادة لا تقوم بترقي هذه الماديّات وتوفر اسباب الهناء وربّ

رجل فقير الحال من اهل البادية يرى السعادة في خيمته ولا يرضى ان يغيّر ما هو عليه من الفقر المدقع برغد عيش المُثرين لانهُ يملك في باديته الحرّية والاستبداد ويؤثرهما على اسباب الرفاهية. وانما السعادة الحقيقية التي لا يشوبها خلل متوقفة على عمل الصلاح وعلى القناعة بما رزق الله والانتفاع بخيراته تعالى عند الحاجة لهُ الشكر عودًا وبدءًا وهو حسبنا

فن التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حيقة مدرّس البيان في كلّية القديس يوسف

(تابع لما قبلهُ)

الباب الأوّل

في تأليف الرواية التمثيلية

ماهيتها

انّ الرواية التمثيلية عبارة عن تمثيل واقعةٍ تاريخيّة ام اختراعية بواسطة اشخاص تنطبق افعالهم واقوالهم على الحقيقة او الاحتمال

قلنا « تمثيل . . . بواسطة اشخاص » تمييزًا لها عمّا سواها من الفنون التي تقوم بطريقة الاخبار او الوصف. اما هذه الرواية فتقوم بالعمل والحركة في محاكاة الطبيعة. فتعرض لنا افرادًا من البشر تسمّيهم « الاشخاص » يتناظرون في مسامع ويتناقضون في غايتهم. فنميل اليهم بكلّيتنا وتنصرف عنايتنا الى مراقبة حالاتهم. فنذهل كل الذهول عن المؤلّف حتّى لا نرى ولا نسمع الّا الاشخاص الفاعلين القائلين بحضرتنا

وقلنا « واقعة » وقد اختلف الكتبة في بيان معنى الواقعة فمنهم مَن ذهب الى انّها مجرّد الحادث الذي عليهِ مدارُ الرواية. ونسب هؤلاء رأيهم الى ارسطو. وارتأى بوالو (Boileau) وكثيرون بعدهُ ان الواقعة تشمل « اخلاق » الاشخاص فضلًا عن الحادث بل للاخلاق المرتبة الاولى فيها. ويؤيد قول بُوالو ما نراهُ جاريًا في الطبيعة نفسها والبها المرجع في الرواية

فالاخلاق صوَر تتكيّف بها النفس فتُبرزها عوامل الاهواء والحادث امرٌ يطرأ على احوال البشر فيجعل في نفسهم تأثيرًا يبدو في اقوالهم واعمالهم ويتمكن فعلهُ على نفس الراءين والسامعين وعلى هذا التأثير مدارُ اهميّة الحوادث. لان الامرَ الواحد يُثير في النفوس عواطف مختلفة واحيانًا متناقضة. فشتّان ما بين بخيلٍ رُوي عنهُ انهُ مات كمدًا لمّا درى بانّ اولادهُ من غير علمهِ ورضاهُ احضروا لهُ الطبيب باجرة خمسة دنانير (وبين) البرمكي الذي يُعطي بسخاء ويوصي ذويهِ بالكرَم واذا رأى احد بنيهِ يمنح صلةً قال : وعلى ولدي فلان مثلُها وعليّ اضعافها. وشتّان ما بين